



هل تحلم إيران بعودة أوباما؟

تعلن إيران دائماً أنها لا تهمها نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية ولا تعنيها هوية أو توجهات من يصل إلى البيت الأبيض. فالكل، وفقاً لتلك الرؤية، سواء، ولا فرق بالنسبة لها بين رئيس جمهوري وآخر ديمقراطي.

لكنها في اللحظة الحالية لا تستطيع مغالبة التطلع والترقب لمن سيرأس الإدارة الأمريكية القادمة: هل هو الرئيس الحالي دونالد ترامب، الذي وضع العلاقات معها محوراً رئيسياً في حملته الانتخابية، لدرجة ترجيحه إمكانية التوصل إلى اتفاق جديد معها بعد فوزه بالانتخابات بشهر واحد، أم نائب الرئيس السابق جو بايدن الذي كان له دور رئيسي في الوصول للاتفاق النووي الحالي الذي توصلت إليه إيران مع مجموعة "١+٥"، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، في ١٤ يوليو ٢٠١٥.

مبعث هذا الترقب هو أن نتيجة الانتخابات سيكون لها تأثير مباشر على مستقبل العلاقات مع طهران ومصير الاتفاق النووي في حد ذاته. هنا، لا يمكن القول إن جو بايدن سوف يقوم بإجراء تغيير جذري في مسار العلاقات الحالي، الذي وصل إلى حد المواجهة المباشرة، ولو محدودة، لأول مرة منذ عقود عديدة. لكن يمكن القول إنه سوف يتبنى سياسة أكثر مرونة قد تفرز حالة من التهدئة التي ربما تساعد في تقليص حدة التوتر واستمرار العمل بالاتفاق النووي.

بعبارة أخرى، فإن إيران تعتبر أن نجاح الرئيس ترامب في تجديد فوزه بولاية رئاسية ثانية يعني أمرين بالنسبة لها: الأول، هو تزايد احتمالات الحرب معها، ولذلك أسباب عديدة، منها أن سياسة العقوبات القسوى التي تتبناها إدارة ترامب لم تنجح حتى الآن في إثناءها عن مواصلة سياستها التصعيدية في البرنامج النووي والدور الإقليمي، وإن كان الأخير قد شهد حالة من الارتباك منذ العملية العسكرية التي شنتها واشنطن، في ٣ يناير الماضي، وأسفرت عن مقتل المسئول الأول عن إدارة العمليات الخارجية قائد فيلق القدس السابق قاسم سليمان برفقة نائب أمين العام ميليشيا الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس.

ومنها أيضاً أن إيران قد تعيد تشغيل عجلة التطوير في برنامجها النووي لدرجة يمكن أن تعيده إلى سابق عهده عندما وصل مستوى عمليات التخصيب إلى ٢٠٪، باستخدام نحو ٢٠ ألف جهاز طرد مركزي من طرازات مختلفة.

وقد يكون لاغتيال سليمان تأثير مباشر في هذا السياق، حيث أن المواجهة المباشرة مع واشنطن التي أعقبته، قد تكون أقنعت النظام في طهران بأنه لا سبيل أمام دفع واشنطن لاستبعاد الخيار العسكري سوى امتلاك القدرة على إنتاج القنبلة النووية، وهو ما لن تسمح به واشنطن ولا تل أبيب، وبدا ذلك جلياً في محاولات التعطيل المستمرة التي تجري على قدم وساق وتستهدف المنشآت النووية الرئيسية، على غرار مفاعل ناتانز، وهو المنشأة الأبرز في عمليات التخصيب، والذي تعرض لانفجار في ٢ يوليو الماضي.



والثاني، هو انهيار الاتفاق النووي. إذ أن تجديد ولاية ترامب معناه مواصلة العقوبات، التي قد تصل إلى مستوى غير مسبق في حالة نجاح واشنطن في تفعيل آلية "سنا بـاك" أي عودة العقوبات الدولية بصفة تلقائية، رغم المعارضة الواضحة التي تتبناها ليس فقط روسيا والصين وإنما حتى حلفاء واشنطن من الدول الأوروبية، لاسيما بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وهنا، فإن هذا الانهيار قد يكون أشبه بما أسماه مؤسس الجمهورية الإسلامية روح الله الخميني بـ"تجرع كأس السم" عندما وافق على قرار وقف إطلاق النار مع العراق عام ١٩٨٧. فهذا الانهيار سيحدث في حالة ما إذا أقدمت طهران، مضطرة، على الخروج من الاتفاق، رداً على العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية والتي أدت، في رؤيتها، إلى إفراغه من مضمونه.

هذا الخروج قد لا يكون الخيار الأمثل بالنسبة لإيران، وإنما خيار تمليه ضغوط داخلية في الأساس، باعتبار أنه لم يعد هناك مجال للحديث عن الطموحات "الوردية" التي سبق أن روجت لها حكومة الرئيس حسن روحاني عندما توصلت، بعد ضوء أخضر من جانب المرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي، للاتفاق النووي.

إذ اعتبرت أن الاتفاق يفتح الباب أمام إدماج إيران في المنظومة العالمية ويمكنها من استقطاب الاستثمارات الأجنبية ويساعدها في الحديث مباشرة مع خصمها اللدود أو ما تسميه "الشیطان الأكبر" علانية بعد أن كان هذا الحديث دائماً على الكتمان أو وراء الكواليس.

لذا، فإن إيران تطمح، دون أن تعلن ذلك مباشرة، في فوز بايدن. فهذا الاحتمال في حالة حدوثه سوف يجنبها، في الغالب، التطورين السابقين، سواء الانخراط في حرب مباشرة دائماً ما تسعى إلى تجنبها، أو وقف العمل بالاتفاق النووي.

مع ذلك، فإن طهران تدرك أن المسألة ليست بهذه البساطة. فليس معنى فوز بايدن عودتها إلى "جنة" أوباما مرة أخرى. فالمرشح الديمقراطي الحالي قد لا يستطيع تجاوز عقبات عديدة في سبيل تغيير السياسة الأمريكية تجاهها، فضلاً عن أن لديه بدوره تحفظات عديدة على سياستها، سواء فيما يتعلق بالاتفاق النووي أو الدور الإقليمي، وفوق ذلك سوف تبقى إسرائيل متغيراً أساسياً في تحديد المسار الذي يمكن أن تصل إليه العلاقات بين طهران والإدارة القادمة، سواء كان ترامب أو بايدن هو الرئيس القادم.

وهنا، فإن فوز بايدن سوف يبقى أفضل الخيارات المطروحة بالنسبة لها، على أساس أن نجاح ترامب في تجديد ولايته الرئاسية معناه أن أمامها أربعة أعوام أخرى من الضغوط والعقوبات وربما الحرب.

د. محمد عباس ناجي

